

القصيدة بما يؤيد هذا الرأي أو ذاك ، غير أننا لا نميل - كما قلنا - إلى دحض كل الروايات القديمة لا لشيء إلا لأننا لم نجد تأييدا صريحا لها في شعر النابغة .

وفي الديوان بعد ذلك قصيدة مطلعها .

أرسما جديدا من سعاد تمنب
عفت روضة الأجداد منها فيشقب
وقد صدرها الشارح بهذه العبارة : « قال يعتذر إلى النعمان »

وعندى أنه ليس من الصواب بشكل عام تصنيف القصيدة العربية ، والجاهلية بصفة خاصة ، وفق غرض واحد قالها الشاعر فيه ، لأننا نعلم أن وحدة الغرض كانت شبه معدومة في القصيدة العربية القديمة ، وإغفال ذكر الأغراض الأولى التي يتناولها الشاعر في قصيدته على أساس أن جميع الشعراء في ذلك الوقت جروا على بدء قصائدهم بالبكاء على الأطلال ووصف الناقة وما إلى ذلك ، . . . يوحى بأن هذا الجزء الأول من القصيدة ليس سوى أبيات مصنوعة يجرى فيه الشاعر على عادة أسلافه ، قبل أن ينفذ إلى الغرض الذي قرر أن يقول قصيدته فيه . وهذا يتعارض مع ما سلم به معظم النقاد والدارسين من أن الشعر الجاهلي كان شعر صدق أكثر منه شعر صنعة ، وفي اعتقادي أن الشاعر الجاهلي إذا بكى على الأطلال فإنه يبكي بحرقة لا يمكن أن تكون متكلفة ، فهي صادرة عن دخيلة نفسه وليست مجرد تقليد لمن سبقه من الشعراء أما ما نراه من اجماع الشعراء على ذلك البدء ، فمن السهل تعليقه بالرجوع إلى ظروف حياتهم المشتركة الدائمة التنقل وراء المرعى الدائمة التفريق بين الأحباب والخلان .